



انشغل العالم أواخر أكتوبر 2015 في البحث عن نهاية لخمس سنوات من القتل والتهجير أقام سوتها بشار أسد في سوريا. اجتمع وزراء خارجية أربع دول هي روسيا وأمريكا وتركيا وال سعودية في فيينا، تفرقوا كما اجتمعوا من دون اتفاق.

قبل في حينه إن موسكو أحبطت اللقاء حين أصرت على اعتبار بشار أسد جزءا من الحل. ثم اتفق على توسيع الاجتماع، بحيث دعي الغائب المهم إلى الاجتماع وهي إيران، ودعى دول تكملة عدد مثل مصر ولبنان، إذ غيابهما كحضورهما لا يقدم ولا يؤخر.

وتحدهما السعودية وتركيا تعرفان أن اللقاءات ممارسة علاقات عامة. إذ إن الغائب الأكبر هو الفصائل المقاتلة على الأرض، مثل أحرار الشام وجبهة النصرة والجبهة الجنوبية، حيث غيبت فلم تدع، ولم تهتم هي في أن يكون لها مقعد على طاولة اللقاءات.

فهي لا تهتم بمن حضر أو غاب، إذ إنه لا يوجد في أجننتها إلا القتال حتى يزول نظام بشار أسد من الوجود وينكسر أنف إيران وتنحسر إلى ما وراء الحدود يوم كان الشاه يحكم إيران، لا حبا بالشاه، بل كبحا لدور طهران التي ابتلعت أربع دول عربية كانت قبل احتلالها ملء السمع والبصر.

موسكو تعتبر أن سلاحها الجوي كفيل بأن يجعل لها الحق في أن يكون لها أكبر المقاعد حول طاولة المفاوضات.

أما واشنطن، فتعتبر أن الفصائل المقاتلة أكبر عقبة في إمضاء أية توسيع للنزاع في سوريا. وقد جربت أن يكون لها مقاتلون من الجيش الحر يأترون بأمرها، فكانت فضيحة الفضائح حين صرفت 400 مليون دولار على تدريب من تسميهم معتدلين، ثم لم تجد في نهاية التدريب من هؤلاء المعتدلين إلا أربعا من الجيش الحر يأترون بأمرها.

موسكو التي جردت أسطولها الجوي، فقصفت المناطق التي يسيطر عليها المقاتلون (عام طام) كما يقال في التعبير السوري، واستهدفت المستشفيات التي تداوى جرحى القتال ليس لديها إلا معدات صدئة ومئات من الجرحى، فلم تتوفر لهم

طائرات بوتين.

نقول لموسكو هذه التي جاءت لتنفذ بشار أسد فيبقى في السلطة، إنها لو استطاعت أن تدركه قبل أن تدوسه جحافل المقاتلين، فتكون أنقذته من موت محقق. وإن المقاتلون السوريون أقسموا ألا يدعوه يخرج من سوريا إلا قطعاً تنهشها الكلاب، فقد فعل في سوريا ما لم يفعله نيرون في روما.

أما واشنطن التي تتباكى على مصير سوريا إذا ما أطيخ بشار دون أن يخلفه من يحكم سوريا في اليوم التالي، فنقول لها: اتركينا من شرورك ونحن بألف خير من الله.

فالمقاتلون الذين لقناهم ميليشيات طهران دروساً لن ينساها من بقي منهم على قيد الحياة، وجعلوا زعيم الأشرار حسن نصر الله "يشهد فلا يلحق"، وسيجعلون بوتين يلعن الساعة التي قرر فيها أن يجرب حظه في سوريا، هؤلاء المقاتلون هم بناة سوريا.

ففي اليوم التالي الذي تنظف فيه سوريا من أشرار بشار وإيران يعود كل مقاتل إلى حيه يعمر فيه ما خربه المجرمون.

أما الضباط الذين انشقوا عن جيش بشار فسوف يعودون إلى ثكناتهم ليقولوا للعالم كله ولوشنطن بالذات: إن الجيش الذي قاتل بشار ونصر الله وفيق القدس، الذي طرد من أرض سوريا، هذا الجيش قادر على أن يعيد سوريا إلى ما كانت عليه يوم تسلط عليها حافظ أسد وزمرة الأشرار.

لن يكون هناك فراغ في سوريا. ولن يكون أبناء سوريا مثل حكام العراق الذين جاؤوا على ظهر باباً أمريكية عندما احتلت أمريكا العراق. فقد فعل أولئك أسوأ مما فعل جورج بوش وتوني بلير، وقد سرّ "بول برايمير" الجيش العراقي الذي كان أقوى جيش في المنطقة العربية.

وإذا كان بوتين يعتقد أنه يقوم بعملية قصف تمهد لجعل الفصائل المقاتلة ترفع راية التسلیم، فقد رأى خلال شهر 1600 طلعة جوية، أن المقاتلين يتقدمون على الأرض تحت القصف.

بوتين الذي أرسل وزير خارجيته إلى فينا يوم الجمعة في 30 أكتوبر يعتقد أن المعارضة المحسوبة على النظام هي في جيشه، وسيقتسم الكعكة مع ائتلاف المعارضة ومن هم محسوبون على واشنطن. لكن هؤلاء وأولئك، حتى الآن لم يتتفقوا على من سيعلق الجرس في عنق القط الذي يقاتل على الأرض.

لقد كانت الفصائل المقاتلة من الاباقة بحيث إنها لم تقل لائلاً لل المعارضة: إنكم تفاوضون من دون أن يفوضكم أحد. لكن في الوقت الذي يتقدم هؤلاء وأولئك يتفاوضون لاختيار من سيحكم سوريا سيدون أنهم لا يملكون من الأمر شيئاً، وأن من يبذل الدماء بمئات الآلاف هو من يحق له أن يشرع لمصير سوريا من خلال نواب الشعب الذين يختارهم السوريون.

كلمة لا بد منها لمن وجد نفسه عضواً في ائتلاف المعارضة من دون انتخاب من الشعب: أنت لا يحق لك أن تمثلوا الشعب السوري.

وغاية ما في الأمر أن واشنطن سوف تتملي رغباتها ثم تقول لكم تعالوا أبصموا. ومن جملة ما ستبصمون عليه هو اعتقال من قاتل النظام من أحرار الشام وجبهة النصرة وغيرها، فهل تفعلون؟

